

## رحلة أسمالك المسمون

عجيب أمر تلك الأسمالك ، المراقبة المستوى والمعالية القيمة ، حين تندفع في جماءات هائلة من أعماق المحيط، الذي تغذت فيه وكبرت ، إلى موطنها الأصلي في النهر الذي شهد مولدها. أما هدف الرحلة فيتمثل في إنجاز عملية التزاوج والتلقيح التي تتم في مياه ذلك النهر تمهيداً لعودتها مرة أخرى إلى أعماق المحيط الشاسعة. الأسمالك جميلة جداً، وتنعايش مع بعضها بأعداد ضخمة ، وهو الأمر الذي يعرضها للعديد من المخاطر، أولها الهجوم الشرس الذي تقوم به الحيتان الكبرى ، حين تشن رائحة هذا المجتمع الضخم، فتندفع نحوها مثل المغواصات النزوية ، ثم عندما تحكم قبضتها عليها، يكفى الحوت الواحد أن يفتح فكيه لكي يبتلع فى قضمته واحدة عشرات الأسمالك. لكن على المرغم من ذلك. يستمر المجتمع فى المسير ، وبسرعة تصل أحياناً إلى ستين كيلو فى الساعة، حتى يصل إلى مصب النهر الموعود ، ولأن مستوى المحيط، فإن أسمالك المسمون تضطر للقيام بقفزة عالية فى الهواء لكي تسقط فى مياه النهر، عندئذ يظهر الخطير المثلى ، متمثلاً فى مجموعة من الدببة الضخمة التى تجيد التقاط العديد منها، وتمزيقها، والتلاذن بالحمل الشهى، وينضم إليها فى ذلك عدد من المجوارح التى تنقض من السماء، فتختطف بعضها إلى أعشاشها فى قمم الجبال، أو أعلى الأشجار.

بعد أن تتم عملية التزاوج والتلقيح، يسقط الكثير من الذكور إحياء، فتطفو جثثهم الفضية على سطح النهر لتكون وليمة سهلة لكل

أنواع المهوام، بينما يتلقى البيض الملحق ليستقر بين صخور النهر، وهنا أيضًا يظهر عدو آخر، هو طائر يجيد الغطس في الماء، حتى يصل بمنقاره إلى البيض المستقر بين صخور المقاع، فيلتقى العجيب أن ما يتبقى من تلك المذرية التي تبلغ الملايين لا يزيد عن أكثر من 6% هي التي عندما تفقس، وتتنمو قليلاً، تنحدر من النهر إلى المحيط، لكنها تتغذى وتتكبر، استعداداً لقيامها بنفس المراحل التي قام بها آباؤها من قبل. والتي لم يستطع علماء الأحياء المائية حتى الآن أن يقفوا على تفسير علمي مقنع لها.

لكنني أزعم أن هناك تفسيراً فلسفياً لذلك، وهو أن رحلة أسماء المسمون تشبه إلى حد كبير رحلة الجنس البشري التي تتطلب الكثير من الجهد والوقت والمسافة، ولما يحدث ذلك لما بهدف استمرار النوع من خلال تناول أجيال جديدة، لكنه وهو يسعى إلى ذلك يتعرض للعديد من المخاطر، التي يسقط فيها الكثير قبل أن يصلوا إلى الهدف، أو حتى وهم حول الهدف، أما الملايين فهو الذين يعتمدون أحياناً على قوتهم الذاتية، وأحياناً أخرى على ضربة الحظ التي تنتصدهم من الملك. المهم أن التجربة الفردية تمتزج بالتجربة الجماعية إلى حد المذوبان. والمشئ الموحيد المختلف بين الجنس البشري وأسماء المسمون أنها لا تتصارع مع بعضها، بخلاف البشر الذين يأكل بعضهم بعضًا. وإذا كانت الأخطار التي تنزل بالأسماء دائمةً من الخارج، فإن الجنس البشري يضيف إليها الكوارث التي يفعلها هو بنفسه !

\* \*